يَأْسُ العاشِقِ

لامه أبوه على تماديه في حب بثينة، فقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومن حضر، جزعاً لما رأوا منه. فقال في ذلك:

[الطويل]

ألا مـن لـقـلـبٍ لا يـمَـلُّ فـيَـذهَـلُ؛
أفِقْ، فـالـتـعـزّي، عـن بُـثـيـنـةَ، أجـمـلُ[١]

سـلا كـلُّ ذي ودٍّ، عـلِـمـتُ مـكـانَـه،
وأنـتَ بـهـا حـتـى الـمـمـاتِ مـوكَّـلُ

فـمـا هـكـذا أحـببـتَ مـن كـان قـبـلـهـا،
ولا هـكـذا، فـيـمـا مـضـى، كـنـتَ تـفـعـلُ

أعـن ظُـعُـنِ الـحـيِّ الأُلـى كـنـتَ تـسـألُ،
بـلَـيـلٍ، فـرَدّوا عِـيـرَهـم، وتـحـمّـلـوا[٢]

فـأمـسـوا وهـم أهـلُ الـديـار، وأصـبـحـوا،
ومـن أهـلِـهـا الـغِـربـانُ بـالـدارِ تَـحـجِـلُ[٣]

(١) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في الأغاني ٨: ١٣١.
(٢) العير: القافلة. تحملوا: ارتحلوا.
وردت الأبيات الأحد عشر المتوالية في الأغاني ٨: ١٣٢.
(٣) تَحْجل الغربان: تنزو في مشيتها، تتمايل.

عـلـى حـيـن ولّـى الأمـرُ عـنّـا، وأسـمَـحـتْ
عـصـا الـبـيـن، وانـبـتّ الـرَّجـاءُ الـمـؤمَّـلُ[١]

وقـد أبـقـت الأيّـامُ مـنّـي، عـلـى الـعِـدى،
حُـسـامـاً، إذا مـسَّ الـضـريـبـةَ، يَـفـصِـلُ[٢]

ولـسـتُ كـمـن إن سِـيـمَ ضَـيـمـاً أطـاعَـهُ،
ولا كـامـرئٍ، إن عـضّـهُ الـدهـرُ يَـنـكُـلُ

لـعـمـري، لـقـد أبـدى لـيَ الـبـيـنُ صَـفـحَـهُ،
وبـيّـنَ لـي مـا شـئـتُ، لـو كـنـتُ أعـقِـلُ[٣]

وآخِـرُ عـهـدي، مـن بُـثـيـنـةَ، نـظـرةٌ،
عـلـى مَـوقِـفٍ، كـادت مـن الـبَـيـن تـقـتُـلُ

فـلـلّـهِ عـيـنَـا مـن رأى مـثـل حـاجـةٍ،
كـتَـمـتُـكِـهـا، والـنـفـسُ مـنـهـا تَـمَـلـمَـلُ

وإنـي لأسـتـبـكـي، إذا ذُكِـر الـهـوى،
إلـيـكِ، وإنـي، مـن هـواكِ، لأوجِـلُ

نـظـرتُ بِـبـشـرٍ نـظـرةً ظَـلْـتُ أمْـتـري
بـهـا عَـبـرةً، والـعـيـنُ بـالـدمـع تُـكـحَـلُ[٤]

إذا مـا كَـررتُ الـطَّـرفَ نـحـوكِ ردّه،
مـن الـبُـعـدِ، فـيّـاضٌ مـن الـدمـعِ يَـهـمِـلُ

---

(١) أسمحت: أطاعت ولانت بعد استصعاب. انبتَّ: انقطع.
(٢) الضريبة: الرجل المضروب.
(٣) الصَّفْح: الجانب.
(٤) أمتري: أستخرج. أستحلب وأسْتَجلب.

فيا قلبُ، دع ذِكرى بُثينةَ، إنها،
وإن كنتَ تهواها، تَضَنُّ وتَبخَلُ

قناةٌ من المُرّان ما فوقَ حَقْوِها،
وما تحتَه منها نَقاً يتَهيّلُ[١]

وقد أيأسَتْ من نَيْلِها، وتجهّمَتْ،
ولَلَيأسُ، إن لم يُقدَرِ النّيْلُ، أمثَلُ[٢]

وإلّا فسَلْها نائِلاً قبل بَنِيها،
وأبخِلْ بها مسؤولةً حين تُسألُ[٣]

وكيف تُرجّي وصلَها، بعد بُعدِها،
وقد جُذّ حبلُ الوصل ممن تُؤمِّلُ

وإنّ التي أحببتَ قد حِيلَ دونَها،
فكن حازِماً، والحازِمُ المُتحوِّلُ

ففي اليأسِ ما يُسلي، وفي الناس خُلّةٌ،
وفي الأرضِ، عمّن لا يؤاتيكَ، معزِلُ[٤]

بدا كَلَفٌ مني بها، فثاقَلتْ،
وما لا يُرى من غائبِ الوجدِ أفضَلُ

هَبيني بريئاً نِلتِه بظُلامةٍ،
عَفاها لكُم، أو مُذنباً يتنصّلُ!

---

(١) المرّان: الرماح. حِقْوها: كَشْحها، والمراد بالقناة انتصاب قامتها. النقا: الكثيب، والمراد به ردفها. يتهيل: يتحرك ويترجرج.
(٢) أمثل: أفضل. (٣) النائل: العطاء.
(٤) الخلة: الصداقة لا خلل فيها.